الصداقة.. ما سرّها؟ (1-2)

معلـــوم أن الصداقة تمثـــل إحدى أهم وأرقى نماذج العلاقات الإنســـانية وأشدّها دفئاً.

ويقول ابن المقفع (أحد المفكريـــن العرب) في الأصدقاء: «اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا، هم زينة في الرخاء وعدّة في الشقاء».

ويقول أرسطو في الصداقة: «متى أحب الناس بعضهم بعضاً لم تعد هناك حاجة إلى العدالة، غير أنهم مهما عدلوا فلا غنى لهم عن الصداقة، وإنَّ أعدل ما وُجد في الدنيا بلا جدال هو العدل الذي يُستمدّ من العطف والمحبة».

أما موســـوعة علوم الإيزوتيريك فتذكر في هذا الصـــدد أنه عندما يمارس المرء في تعاطيه مع صديقه ما ينجح في ممارسته مع نفسه، فهذه حقاً بوادر تفعيل كل من العدل والحكمة في النفس على المستوى الاجتماعي - الإنساني، الذي يلي المســـتوى الفردي لكن من دون الوقوع في المثالية والتنظير.

ويؤكد علم الإيزوتيريك أن هدف التواصل في علاقة الصداقة هو تنشـــيط طاقة المحبـــة أثناء التعاطي مع الآخر، وهذا أهـــم عمق للصداقة. فعبر تنشـــيط المحبة يتم إيقاظ الإرادة من خلال خلق حاجة السعي إلى وعي أبعد وأشمل لذلك التواصل ولكن هذه المرّة بأداة الفكر، ثم تحويل كل من المحبة والإرادة إلى طاقة إرادية يحرّكها ويتوسّـــع فيها التطبيق العملي اليومي في حياتنا.

وهناك ميزة أخرى للصداقة وهي أنها تعزز الانفتاح، وتنبّه المرء إلى الفوارق بينه وبين الآخرين مما يدفعه إلى تقييم نفسه وتقويمها وبالتالي تقويم علاقته بالآخرين. ويشـــرح الإيزوتيريك أن التفاعل مـــن خلال التواصل بين المرأة والرجل (الســـالب والموجب) يتم على نطاق الصفات الناقصة في كل قطب منهما، في حيـــن أن التفاعل بين المرأة والمـــرأة أو بين الرجل والرجل، يتم على مستويات الصفات القائمة، وكأنه عبارة عن مقارنة ذاتية للفرد داخل تفاصيل صفاته التي تم اكتسابها. هذا وكل تفاعل هو صقل للنفس في صفاتها الفاعلة، مـــرّة بالتكامل والإضافة إلى هذه الصفات، ومرّة بالمقارنة وتشذيب الصفات القائمة والمكتسبة على حد سواء.

والجدير بالذكر هنا أن مصادقة شـــخص ما لمجرّد اللهو والمرح وتضييع الوقت يعني إبقاء هذه «الصداقـــة» وطرفيها خارج دائرة التفاعل وبالتالي خارج مسار التطور.

فالصداقـــة الحقة هي تقارب ذبذبـــي، أي تقارب مشـــاعري - فكري بين شـــخصين تجمعهما درب واحـــدة ويوحدهما هدف مشـــترك. ومن خلال الصداقة الوثيقة تنمو مقدرات الشخص على إدراك أفكار ومشاعر الآخرين مما يســـاعده على إدراك وتنمية الشعور الإنســـاني ضمناً. كما تساعد الصداقة الإنســـان في التعبير عن نفســـه من خلال الإفصاح عن أفكاره ومشـــاعره وأحلامه، كما وأنها (الصداقة) تســـهم في بناء علاقة تتّسم بالثقة المتبادلة.. لكن هل هناك ثقة متبادلة من دون صدق؟

للإجابة نورد ما جاء في «لســـان العرب» بأن أصل كلمة صداقة من «صِدْق»، أي نقيض الكذب. وأيضاً من «الصَدَق»، ومن خلال هذا يكون الصديق صادقاً إذا تحـــدّث وصَدَقاً (أي صلباً جاداً) إذا عمل.. وتعريف آخر لكلمة «الصداقة» بالتحديد جاء في كتاب «الفروق في اللغة» مفاده أن الصداقة تعني «اتفاق الضمائر على المودّة».

وكما المحبة توقظ الشفافية في النفس، والشفافية توقظ المصداقية في الفكر، وبما أن الصدق أساس الصداقة، يتبين لنا أن التقارب الفكري هو أحد الدعائم الأساسية لبناء صرح صداقة تدوم أبداً.

ندى شحادة معوّض

www.esoteric-lebanon.org

الصداقة.. ما سرّها؟ (2-2)

تحدثنا في العدد الماضي عن مفهوم الصداقة وتعاريفها التي وردت في كتب ودراسات متعددة، واستنتاجاً مما سبق نستطيع أن ندرج الصداقة في شقّين: الأول تولده المصلحة وتدفعه الحاجة، والثاني يولده الصدق ويدفعه الوعي.. وهذان الشقان يختلفان اختلافاً جذرياً من حيث الشكل والمضمون، بحيث يغلب على الأول الجانب المادي والميول الأرضية، في حين يأتي الشق الثاني كشعور راق توجهه المحبة ويدفعه النبل الإنساني في أسمى أفعاله ومعانيه..

فالصديق، على سبيل المثال، الذي يشعر بالمسؤولية حيال مساعدة صديقه، فإن شعوره هذا ينطوي على لذة داخلية عميقة تؤدي إلى شعور مضاعف من الرضا الذاتي في أي عمل يقوم به حيال مساعدة صديقه. والشعور عينه تولّده أيضاً المسؤولية حيال أي عمل يقوم به الإنسان شغفاً به وليس بدافع الواجب فحسب.

كما وأن توحيد النظرة في المفاهيم بين صديقين يعزز الارتفاع فوق التفاصيل الصغيرة من منطلق احتوائها وتجاوزها وليس لتجاهلها كما هو حال الشخص منغلق التفكير أو الانطوائيّ النزعة. ذلك أن كل رفض يحفر نفسه في باطن المرء كرفض عميق للحركة – للحياة في كيانه. ورفض الحركة جمود وتقهقر واعوجاج عن المسار الحياتي السليم.

والتصادق بين أبعاد النفس الواحدة (جسد، مشاعر، فكر) هو توافق في المفاهيم سواء لجهة حاجات النفس في أبعادها المختلفة، أو لجهة متطلبات الوعي في التواصل والمواجهة وتحقيق الصداقة المتجددة ليس مع الصديق فحسب بل تجاه الحياة وتجاه ذواتنا، وسعياً نحو تفتيح وتفعيل المحبة كفعل عطاء في حياتنا اليومية..

وبين المحبة والصداقة، تمتد الصداقة كضرورة وحاجة في بعد الأرض، وتتمدد المحبة كحقيقة في الكون.. إلى أن تعي الصداقة سرّها الأكبر، وهو جذورها الكامنة في حقيقة المحبة.. المحبة الفاعلة في إرادة صاحبها.

فإذا كانت الصداقة كلمة، فالمحبة كتاب.

وإذا كانت الصداقة ذراعاً يحتضن، فالمحبة فيض نور يغمر أرجاء الكيان..

الصداقة تواصل وتفاعل ومحبة تطبيقية.. والمحبة عطاء وتضحية وشمولية..

الصداقة شعاع، والمحبة شمس..

الصداقة إخلاص والمحبة وفاء..

المحبة نور والصداقة ضياء..

الصداقة أرض والمحبة سماء..

وختاماً.. الصداقة رؤية للإنسان في البشر..

والمحبة رؤيا للإله في الإنسان..

ندى شحادة معوّض

www.esoteric-lebanon.org